تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 68
ابن جرير وابن أبي حاتم وقوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والإصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات بما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكر خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظرة وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قال تعالى أفحكم الجاهلية يبغون أي يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شئ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هلال بن فياض حدثنا أبو عبيدة الناجي قال سمعت الحكم يقول من حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية وأخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال كان طاوس إذا سأله رجل أفضل بين ولدي في النحل قرأ أفحكم الجاهلية يبغون الآية وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني 1010749 حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الخوطي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الناس إلى الله عز وجل من يبتغي في الإسلام سنة الجاهلية وطاب دم امرئ بغير حق ليريق دمه وروى البخاري 6882 عن أبي اليمان بإسناده نحوه بزيادة الآيات 551 53 التعليق بالا يبايفب ثصفغ 24صسب ثل ففغه ع 6عتغ
اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 9
ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلال المتعبدة والمتصوفة حتى خالط كثيرا منهم من مذاهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه وقال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم

الآية وفسره النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رضي الله عنه بأنهم أحلوا الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم وكثير من أتباع المتعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمره به وإن تضمن تحليل حرام أو تحريم حلال وقال سبحانه عن الضالين ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله وقد ابتلى طوائف من المسلمين من الرهبانية المبتدعة بما الله به عليم

مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 98

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم لما قرأ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم فقال يارسول الله ما عبدوهم فقال ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه والحرام ما حرمه والحلال ما حلله والدين ما شرعه إما دينا وإما دنيا وإما دنيا ودينا ثم يخوف من إمتنع من هذا الشرك وهو لا يخاف أنه أشرك به شيئا فى طاعته بغير سلطان من الله وبهذا يخرج من أوجب الله طاعته من رسول وأمير وعالم ووالد وشيخ وغير ذلك وأما الشرك الثالث فكثير من أتباع المتكلمة والمتفلسفة بل وبعض المتفقهة والمتصوفة بل وبعض أتباع الملوك والقضاة يقبل قول متبوعه فيما يخبر به من الإعتقادات الخبرية ومن تصحيح بعض المقالآت وإفساد بعضها ومدح بعضها وبعض القائلين وذم بعض بلا سلطان من الله ويخاف ما أشركه فى الإيمان والقبول ولا يخاف إشراكه بالله شخصا فى الإيمان به وقبول قوله بغير سلطان من الله وبهذا يخرج من شرع الله تصديقه من المرسلين والعلماء المبلغين والشهداء الصادقين وغير ذلك فباب الطاعة والتصديق ينقسم الى مشروع فى حق البشر وغير مشروع وأما العبادة والإستعانة والتأله فلا حق فيها للبشر بحال فإنه كما قال القائل ما وضعت يدى فى قصعة أحد إلا ذللت له ولا ريب أن من نصرك ورزقك.

مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 270

فإن لم تكونوا من هذا الصنف فقد أجبتكم بالجواب الثانى ان كنتم أهل عقل وتقييد وحصرتم الحق فيما تعطيه أدلة عقولكم فظهر موسى بالوجهين ليعلم فرعون فضله وصدقه وعلم موسى ان فرعون علم ذلك أو يعلم ذلك لكونه سأل عن الماهية فعلم أن سؤاله ليس على اصطلاح القدماء فى السؤال فلذلك أجاب فلو علم منه غير ذلك لخطأه فى السؤال فلما جعل موسى المسئول

عنه عين العالم خاطبه فرعون بهذا اللسان والقوم لا يشعرن فقال له لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين والسين فى السجن من حروف الزوائد أى لأسترنك فانك أجبت بما أيدتنى به أن أقول مثل هذا القول فان قلت لى بلسان الاشارة فقد جهلت يا فرعون بوعيدك اياى والعين واحدة فكيف فرقت فيقول فرعون انما فرقت المراتب العين ما تفرقت العين ولا انقسمت فى ذاتها ومرتبتى الآن التحكم فيك يا موسى بالفعل وأنا أنت بالعين وأنا غيرك بالرتبة وساق الكلام الي ان قال ولما كان فرعون فى منصب الحكم صاحب الوقت وأنه الخليفة بالسيف وأنه جار فى العرف الناموسى لذلك قال أنا ربكم الأعلا أى وان كان الكل أربابا بنسبة ما فأنا الاعلا منهم بما اعطيته فى الظاهر من التحكم فيكم ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لهم لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له فاقض ما انت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا فالدولة لك.

مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 195

فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكا لله شرعا في الدين ما لم يأذن به الله وقد يغفر له لأجل تأويل إذا كان مجتهدا الأجتهاد الذي يعفى معه عن المخطيء لكن لا يجوز اتباعه في ذلك كما قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فمن أطاع أحدا في دين لم يأذن الله به من تحليل أو تحريم أو استحباب أو ايجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب كما يلحق الآمر الناهي ثم قد يكون كل منهما معفوا عنه فيتخلف الذم لفوات شرطه أو وجود مانعه و إن كان المقتضى له قائما ويلحق الذم من تبين له الحق فتركه أو قصر في طلبه فلم يتبين له أو أعرض عن طلبه لهوى أو كسل ونحو ذلك وأيضا فإن الله عاب على المشركين شيئين أحدهما أنهم أشركوا به ما لم ينزل به سلطانا الثاني تحريمهم ما لم يحرمه الله كما بينه في حديث

تفسير ابن كثير ج: 1 ص: 378

قال محمد بن إسحاق 2231 حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم فقال رجل من

أهل نجران نصراني يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا أو كما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني أو كما قال صلى الله عليه وسلم فأنزل الله في ذلك من قوليهما ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة إلى قوله بعد إذ أنتم مسلمون فقوله ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله أي ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون الله أي مع الله فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى ولهذا قال الحسن البصري لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته قال ذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون أحبارهم ورهبانهم كما قال تعالى إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله الآية وفي المسند والترمذي 3095 كما سيأتي أن عدي بن حاتم قال يا رسول الله ما عبدوهم قال بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام وإنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حملوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة فقاموا بذلك أتم القيام ونصحوا الخلق وبلغوهم الحق وقوله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون أي ولكن يقول الرسول للناس كونوا ربانيين قال ابن عباس وأبو رزين وغير واحد أي حكماء علماء حلماء وقال الحسن وغير واحد فقهاء وكذا روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وعطاء الخراساني وعطية العوفي والربيع بن أنس وعن الحسن أيضا يعني أهل عبادة وأهل تقوى وقال الضحاك في قوله بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيها تعلمون أي تفهمون معناه وقرئ تعلمون بالتشديد من التعليم وبما كنتم تدرسون تحفظون ألفاظه ثم قال تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أي ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله ولا نبي مرسل ولا ملك مقرب أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من

رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت الآية وقال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال إخبارا عن الملائكة ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين الآيات 381 82 يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته ولهذا قال تعالى وتقدس وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة أي لمهما

تفسير ابن كثير ج: 2 ص: 350

إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق قال فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا وقال السدي استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع وماحكم به نفذ لاإله إلا هو سبحانه عما يشركون أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد لاإله إلا هو ولا رب سواه الآيات 932 33 يقول تعالى يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب أن يطفئوا نور الله أي مابعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس أو نور القمر بنفخه وهذا لاسبيل إليه فكذلك ما أرسل به رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد أن يتم ويظهر ولهذا قال تعالى مقابلا لهم فيما راموه وأرادوه ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والكافر هو الذي يستر الشيء ويغطيه ومنه سمي الليل كافرا لأنه يستر الأشياء والزارع كافرا لأنه يغطي الحب في الأرض كما قال أعجب الكفار نباته ثم قال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فالهدى هو ماجاء به من الإخبارات الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع ودين الحق هو الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة ليظهره على الدين كله أي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيح م 2889 عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي مازوي لي منها

وقال الإمام أحمد 5366 حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب سمعت شقيق بن حيان يحدث عن مسعود بن قبيصة أو قبيصة بن مسعود يقول صلى هذا الحي من محارب الصبح فلما صلوا قال شاب منهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إنه ستفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها وإن عمالها في النار إلا من اتقى الله وأدى الأمانة وقال الإمام أحمد 4103 حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا سليم بن عامر عن تميم الداري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزا أو يذل ذليلا عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر فكان تميم الداري يقول قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلك منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان كافرا منهم الذل والصغار والجزية وقال الإمام أحمد 64 حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم حدثني ابن جابر سمعت سليم بن عامر قال سمعت المقداد بن الأسود يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام يعز عزيزا ويذل ذليلا إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وإما يذلهم فيدينون لها وفي المسند أيضا 4378 حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن حذيفة عن عدي بن حاتم سمعه يقول دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعدي أسلم تسلم فقلت إني من أهل دين قال أنا أعلم بدينك منك فقلت أنت أعلم بديني مني قال نعم ألست من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك قلت بلى قال فإن هذا لا يحل لك في دينك قال فلم يعد أن قالها فتواضعت لها قال أما إني أعلم ماالذي يمنعك من الإسلام تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لاقوة له وقد رمتهم العرب أتعرف الحيرة قلت لم أرها وقد سمعت بها قال فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز قلت كسرى بن هرمز قال نعم كسرى بن هرمز وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد قال عدي فهذه التعليق بالا يب

تفسير القرطبي ج: 2 ص: 351

الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جواز أحد ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالها وقال مسلم 2907 حدثنا أبو معن زيد بن يزيد الرقاشي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن الأسود بن العلاء عن أبي سلمة عن

عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الآية أن ذلك تام قال إنه سيكون من ذلك ما شاء الله عز وجل ثم يبعث الله ريحا طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فييقي من لاخير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم الآيات 934 35 قال السدي الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى وهو كما قال فإن الأحبار هم علماء اليهود كما قال تعالى لو لا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت والرهبان عباد النصارى والقسيسون علماؤهم كما قال تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا والمقصود التحذير من علماء السوء وعباد الضلال كما قال سفيان بن عيينة من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى وفي الحديث الصحيح خ 7320 م 2669 بنحوه لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة قالوا اليهود والنصارى قال فمن وفي رواية فارس والروم قال فمن الناس إلا هؤلاء والحاصل التحذير من التشبه بهم في أقوالهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون أموالهم بذلك كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم عندهم خرج وهدايا وضرائب تجئ إليهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات فأطفأها الله بنور النبوة وسلبهم إياها وعوضهم الذل والصغار وباؤا بغضب من الله تعالى وقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله أي وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل ويظهارون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير وليسوا كما يزعمون بل هم دعاة إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وقوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الآية هؤلاء هم القسم الثالث من رؤوس الناس فإن الناس عالة على العلماء وعلى العباد وعلى أرباب الأموال فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس كما قال ابن المبارك وهل افسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها وأما الكنز فقال مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر هو المال الذي لا تؤدى زكاته وروي الثوري وغيره عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما كان ظاهر ألا تؤدى زكاته فهو كنز وقد روي هذا عن ابن عباس وجابر وأبي

هريرة موقوفا ومرفوعا وقال عمر بن الخطاب نحوه أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض وروي البخاري 1404 تعليقا من حديث الزهري عن خالد بن أسلم قال خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال وكذا قال عمر بن عبد العزيز وعراك بن مالك نسخها قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة الآية وقال سعيد بن محمد بن زياد عن أبي أمامة أنه قال حلية السيوف من الكنز ما أحدثكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الثوري عن أبي حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن التعليق بالا يبايفب ثصفغ 24صسب ثل ففغه ع 6عتغ اتغتغانتمةنخ تفسير الطبري ج: 15 ص: 37
أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا ليعبدوهم دوني وتحكموا فيهم بغير كتابي حتى أجهلوهم أمري وأنسوهم ذكري وغروهم مني أما أمراؤهم وقاداتهم فبطروا نعمتي وأمنوا مكري ونبذوا كتابي ونسوا عهدي وغيروا سنتي فادان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي فهم يطيعونهم في معصيتي ويتابعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني جراءة علي وغرة وفرية علي وعلى رسلي فسبحان جلالي وعلو مكاني وعظم شأني فهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي وهل ينبغي لي أن أخلق عبادا أجعلهم أربابا من دوني وأما قراؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون في المساجد ويتزينون بعمارتها لغيري لطلب الدنيا بالدين ويتفقهون فيها لغير العلم ويتعلمون فيها لغير العمل وأما أولاد الأنبياء فمكثرون مقهورون مغيرون يخوضون مع الخائضين ويتمنون علي مثل نصرة آبائهم والكرامة التي أكرمتهم بها ويزعمون أن لا أحد أولى بذلك منهم مني بغير صدق ولا تفكر ولا تدبر ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم لي وكيف كان جدهم في أمري حين غير المغيرون وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم فصبروا وصدقوا حتى عز أمري وظهر ديني فتأنيت بهؤلاء القوم لعلهم يستجيبون
- - - - - - -- - - - - - - - - - - - - -
أنا ربكم الأعلى
قال أبو بكر الأنباري فمن مذهب أصحاب هذه القراءة أن فرعون لما قال أنا ربكم الأعلى و ما علمت لكم من إله غيري نفي أن يكون له رب وإلاهة فقيل له ويذرك وإلاهتك بمعنى ويتركك وعبادة الناس لك وقراءة العامة وآلهتك كما تقدم وهي مبنية على أن فرعون ادعى الربوبية في ظاهر أمره وكان يعلم أنه مربوب ودليل هذا قوله عند حضور الحمام آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به

بنو إسرائيل فلم يقبل هذا القول منه لما أتى به بعد إغلاق باب التوبة وكان قبل هذه الحال له إله يعبده سرا دون رب العالمين جل وعز قاله الحسن وغيره وهو حرف أبي أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وقد تركوك أن يعبدوك وقيل وإلاهتك قيل كان يعبد بقرة وكان إذا استحسن بقرة أمر بعبادتها وقال أنا ربكم ورب هذه ولهذا قال فأخرج لهم عجلا جسدا ذكره ابن عباس والسدي قال الزجاج كان له أصنام صغار يعبدها قومه تقربا إليه فنسبت إليه ولهذا قال أنا ربكم الأعلى قال إسماعيل ابن إسحاق قول فرعون أنا ربكم الأعلى يدل على أنهم كانوا يعبدون شيئا غيره وقد قيل إن المراد بالإلاهية على قراءة ابن عباس البقرة التي كان يعبدها وقيل أرادوا بها الشمس وكانوا يعبدونها قال الشاعر وأعجلنا الإلاهة أن تؤبا ثم آنس قومه فقال سنقتل أبناءهم بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والباقون بالتشديد على التكثير ونستحي نساءهم أي لا تخافوا جانبهم وإنا فوقهم قاهرون آنسهم بهذا الكلام ولم يقل سنقتل موسى لعلمه أنه لا يقدر عليه وعن سعيد بن جبير قال كان فرعون قد مليء من موسى رعبا فكان إذا رآه بال كما يبول الحمار ولما بلغ قوم التعليق

رسالة في الرد على ابن العربي ج: 1 ص: 215

كل فيها إن الله قد حكم بين العباد سورة غافر 47 48 ومعلوم أن فرعون هو أعظم الذين استكبروا ثم هامان وقارون وأن قومهم كانوا لهم تبعا وفرعون هو متبوعهم الأعظم الذي قال ما علمت لكم من إله غيري وقال أنا ربكم الأعلى وقد قال واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين سورة القصص 39 42 وهذا تصريح بأنه نبذه وقومه في اليم عقوبة الذي هو الكفر وأنه أتبعه وقومه في الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين هو وقومه جميعا وهذا موافق لقوله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملإه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود سورة هود 96 99 فأخبر سبحانه أنهم اتبعوا أمره وأنه يقدمهم لأنه إمامهم فيكون قادما لهم لا سائقا لهم وأنه يوردهم

النار فإذا كان التابع قد ورد النار فمعلوم أن القادم الذي يقدمه وهو متبوعه ورد قبله ولهذا قال
الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 86

أن تكون شريكة وندا له أو أن تكون إلها من دونه وكلا هذين وقع فإن فرعون طلب أن يكون إلها معبودا دون الله تعالى وقال ما علمت لكم من إله غيري و قال أنا ربكم الأعلى وقال لموسى لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين و استخف قومه فأطاعوه وإبليس يطلب أن يعبد ويطاع من دون الله فيريد أن يعبد ويطاع هو ولا يعبد الله ولا يطاع وهذا الذي في فرعون وإبليس هو غاية الظلم والجهل وفي نفوس سائر الإنس والجن شعبة من هذا وهذا إن لم يعن الله العبد ويهديه وإلا وقع في بعض ما وقع فيه إبليس وفرعون بحسب الإمكان قال بعض العارفين ما من نفس إلا وفيها ما في نفس فرعون غير أن فرعون قدر فأظهر وغيره عجز فأضمر وذلك أن الإنسان إذا اعتبر وتعرف نفسه والناس وسمع أخبارهم رأى الواحد منهم يريد لنفسه أن تطاع وتعلو بحسب قدرته حب الرياسة والعلو 56 فالنفس مشحونة بحب العلو والرياسة بحسب إمكانها فتجد أحدهم يوالي من يوافقه على هواه ويعادي من يخالفه في هواه وإنما معبوده ما يهواه ويريده قال تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون

مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 365
ويقولون إن وجود الأصنام هو وجود الله وإن عباد الأصنام ما عبدوا شيئا إلا الله ويقولون ان الحق يوصف بجميع ما يوصف به المخلوق من صفات النقص والذم ويقولون ان عباد العجل ما عبدوا إلا الله وان موسى أنكر على هارون لكون هارون أنكر عليهم عبادة العجل وان موسى كان بزعمهم من العارفين الذين يرون الحق فى كل شيء بل يرونه عين كل شئ وأن فرعون كان صادقا فى قوله أنا ربكم الأعلى بل هو عين الحق ونحو ذلك مما يقوله صاحب الفصوص ويقول أعظم محققيهم ان القرآن كله شرك لأنه فرق بين الرب والعبد وليس التوحيد الا فى كلامنا فقيل له فإذا كان الوجود واحدا فلم كانت الزوجة حلالا والأم حراما فقال الكل عندنا واحد ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم وكذلك ما فى شعر ابن الفارض فى قصيدته التى سماها نظم السلوك كقوله لها صلواتى بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لى صلت كلانا مصل واحد ساجد الى حقيقته بالجمع فى كل سجدة

تعال لا سيما و الجهمية كلهم يقولون بأن الله خالق أفعال العباد و هم غلاة فى الجبر و لكن المعتزلة توافقهم على نفي الصفات و القول بخلق القرآن و تخالفهم فى القدر و الأسماء و الأحكام فإذا كان الله خالق كل ما سواه لزمهم ان يكون كل كلام كلامه لأنه هو الذي خلقه و لذلك قال إبن عربى الطائى و كان من غلاة هؤلاء الجهمية يقول بوحدة الوجود قال و كل كلام فى الوجود كلامه سواء علينا نثره و نظامه ولهذا قال سليمان بن داود الهاشمي نظير أحمد بن حنبل الذي قال الشافعي ما رأيت أعقل من رجلين أحمد بن حنبل و سليمان بن داود الهاشمي قال من قال إنني أنا الله لا إله إلا أنا مخلوق فهو كافر و إن كان القرآن مخلوقا كما زعموا فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار إذ قال أنا ربكم الأعلى و زعموا أن هذا مخلوق و معنى ذلك كون قول فرعون أنا ربكم الأعلى كلاما قائما بذات فرعون فإن كان قوله إنني أنا الله لا إله إلا انا كلاما خلقه فى الشجرة كانت الشجرة هي القائلة لذلك كما كان فرعون هو القائل لذلك و حينئذ فيكون جعل الشجرة إلها أعظم كفرا من جعل فرعون إلها